PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

مفارقة إنتاج صورة الذات بين الفضاء التواصلي الواقعي والافتراضي
قراءة نقدية في مقترب التمثلات الاجتماعية

The paradox of Ethos production between the real and virtual communicative space
A critical reading in the approach to social representations

الطيب البار.

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، Tayeb.barr@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 10/ 01/ 2023 تاريخ القبول: 02/ 03/ 2023 تاريخ النشر: 31/ 03/ 2023

ملخص:

هل يمكن الحديث عن صورة ذات صلبة **Ethos** في عوالم تتيحها الانترنت، وهل تستطيع الثقافات المحلية والوطنية أن تصمد و تسيطر على فعل التمثّل الاجتماعي والثقافي في تشكيل ذواتنا، إنها قيم معولمة فقدت طبيعتها وخصوصيتها وتمايزها المتباين في الأصل، أم أنها مظاهر التغيير الاجتماعي والثقافي في زمن التقانة والشاشات و أثرها على الفرد والمجتمع أصبحت حتمية، حيث مسّت "الأنا" كما "النحن"، هذه الأخيرة تحاول بناء نمط سلوكي نمطي واحد خاضع هو الأخر للاستهلاكية والتجريد حتى أن فائض التفاعلية المتاحة التي تتيحها هذه التقانة لا تنتج بالضرورة فعلاً تواصلياً، بل تآكل فيها العقل البشري على قدرة التخيّل والاندماج الاجتماعي والإدراك للحقائق الاجتماعية ذاتها، بل أُعيد تشكيل حياة ثانية تُصنع في اللامكان و في اللاواقع جرّاء الفضاء الافتراضي السيبيراني **cybernétique** الذي في كنه حقيقته وفلسفته لا يقابل الفضاء الحقيقي الواقعي بالضرورة.

الكلمات المفتاحية: إنتاج، صورة الذات، الفضاء التواصلي، الواقعي، الافتراضي، التمثلات الاجتماعية.

Abstract:

Is it possible to talk about with solid ethos in worlds made possible by the Internet, and can local and national cultures withstand and control the act of social and cultural representation in shaping ourselves, They are globalized values that have lost their original nature, privacy, and distinction, or are they manifestations of social and cultural change in the era of technology and screens, and their impact on the individual and society has become inevitable; It touched the "ego" as well as the "we", the latter trying to build a single stereotyped behavioral pattern that is also subject to consumerism and abstraction so that the surplus of available interactivity offered by this technology does not necessarily produce a communicative act, but rather erodes the human mind's ability to imagine, social integration and realization of facts the same social; Rather, a second life has been reconstituted that is made in nowhere and in non-reality as a result of the cybernetic virtual space, which in its essence and philosophy does not necessarily correspond to the real, realistic space**.**

Keywords: *Production, ethos, communicative space, real, virtual, social representations.*

I. مقدمة

حظي الخطاب الفكري ما بعد الحداثي **Postmodernité** بشعبية كبيرة في الأوساط السوسيو - اتصالية لأنه كان حاملاً لأفكار عن التداخل بين العوالم الإنسانية والعوالم الرقمية أو بين عوالم الذات والعوالم الافتراضية، وفي هذا السياق تشير "شيري تاركل **Sherry Turkle** *" أن العوالم الاصطناعية بالرغم من صعوبتها تقودنا أيضًا إلى معرفة ذواتنا، فالسياق الاتصالي الجديد يتسم بتمازج عالم الإنسان وعالم الكومبيوتر والذي يتجلى في "أنسوبية" الاثنين وفي ظهور مخيال يتمثل كائنات جديدة هجينة **Cyborg** يسبح هذا السياق الفكري في مقترب التمثلات الاجتماعية التي تلجأ إليها بشكل دائم خاصة في أوقات النشاط والتفاعل مع الآخرين، إنها ترشدنا (تمثلات اجتماعية) إلى ما يجب فعله لأنها تلزمنا بالتقيد بالمعايير الاجتماعية والسياق الثقافي الذي نوجد فيه، والأكيد أن تمثّل العالم الذي يحيط بنا في شكل صور ذهنية وإدراكات مرتبطة بالفضاء المكاني الفيزيقي وهو الإطار الذي تشكل فيه عوالمنا الذاتية، وبسبب انمحاء هذا المكان الذي يجمع بين الأطراف المتفاعلة وبتغير وتطور مفهوم الوسيط الاتصالي تغيّرت معها أدوات إنتاج وتشكيل الذات الإنسانية وأصبحنا نفرغ جزء من عقلانيتنا في دعامات غير بيولوجية، حيث أصبحنا نتمثّل واقعنا الاجتماعي في ذاكرة هي أصلاً امتداد لحوامل تكنولوجية حاضرة فيها الصورة بكل أشكالها في تجاربنا الأنسوبية (آلة وإنسان) حيث ارتياب في وجودنا الواقعي الحقيقي مقارنة بالافتراضي (الالكتروني) " إنها ذات ثانية **the second self** على حد تعبير شيري تاركل، فهل يمكن الحديث عن تمثل لذات جديدة (افتراضية) تختلف عنها في أطرها السوسيو ثقافية وفضاءها الواقعي؟.

وفي هذا السياق الإشكالي يمكن تتبع مفاصل هذه الورقة البحثية من خلال:

أولاً: <u>مقاربة الذات في الاتصال التفاعلي الرقمي</u>:

يعرّف "وليم جيبسون" الفضاء الافتراضي في أحد تصوراته أنه هلوسة جماعية يعيشها يوميًا مليارات المستخدمين الشرعيين في البلاد كلها، كما أن وجود الفضاء الافتراضي لا يشبه وجود مدينة بعينها لأنها ليست مرئية، غير أننا على وجه العموم نتصور موقعها الجغرافي على نحو أكثر ارتباطا بالأرض بالمعنى الحرفي "الفيزيقي" من تصورنا للفضاء الافتراضي (**ريد، 2017**)، وعليه توجد فضاءات الكترونية بعدد ما يوجد من مستخدمين لأجهزة التواصل الإلكتروني المتصلة بشبكة الإنترنت والاختلاف هو أن قلة من المستخدمين **Internautes** هم الذين يتصورون جغرافية الفضاء الالكتروني على نحو مادي فقاعدته الأرضية الجغرافية موزعة توزيعًا غريبًا غير مرئي، يتصوره أغلبنا تصورًا مجردًا.

كما تشير أشكال التفاعلات الاجتماعية في الفضاء الافتراضي بتداخل العام والخاص بتلاشي كل الحدود، لا فقط حدود المكان بل كذلك الحدود الثقافية والحدود الفاصلة بين العام والخاص، الفردي والجماعي، وهو ما يسهّل عملية تشكّل الذات وفق اختيارات وإرادة المستخدم دون وجود لأي نوع من المعوقات، والأمر له علاقة بالتحكّم في الصورة والشكل الذي يستعمله الفاعل **l'acteur** داخل هذا الفضاء بكل حرية (**نزيهة مصباح، 2020**).

* باحثة أمريكية في معهد ماسا سوسيتش للتكنولوجيا (**MIT**).

تشير الافتراضية **Virtualité** إلى طبيعة خاصة في عالم الانترنت تضاف إلى العقل الجمعي الالكتروني، وفي هذا العقل الالكتروني تنصهر عقول المجتمعات البشرية المستخدمة للانترنت في مجتمع واحد، افتراضيًا على الأقل، بحيث تبدو وكأنها الوسط الاجتماعي الذي وجد بلا قيد ولا شرط فأذاب في داخله مختلف العناصر المجتمعية العالمية وجميع العلاقات الفردية الافتراضية في آلية جماعية واحدة (**رحومة، 2005**).

وعليه تظهر تفاعلات عقول الأفراد والجماعات الافتراضية، التي تتمظهر بحرية لإبراز الإبداعات الفردية مثل إعداد صفحات خاصة بالأفراد وإظهار الفرد شخصيته للعالم بالصورة الذاتية التي يراها (**رحومة، 2005**).

وفي هذا السياق تظهر الذات الافتراضية على الشاكلة التي يتأملها المستخدم وتتأرجح بين ما هو كائن وما يأمل أن يكون.

ثانياً: <u>الحديث عن ذات افتراضية وتمثلاتها المصطنعة</u>:

في زمن الحداثة كان هناك انفصال بين الذات والرسالة والوسيلة، ولكن في زمن ما بعد الحداثة **postmodernité** فقد انهارت هذه الأقطاب بعضها على بعض (**Bignell, 2000**) .

في هذا السياق يقول "مارك بوستر" **Mark poster** أن في فترة الحداثة كانت الذات تعي نفسها بعمليات التنشئة الاجتماعية التي يرعاها المنزل والمدرسة ودور العيادة... ، بخطابات كبرى تقدم إجابات عن عديد من أسئلة تشكّل الذات البشرية، لكن مع سقوط الأفكار الكبرى وعدم احتفاء الميديا الجديدة بها تم التركيز على خطابات صغرى متعددة تصب في الذات التي لم تعد تدرى معنى لوجودها، ولهذا توصف بأنها متشضية متعددة الأوجه ومتداخلة السمات طالما كان أهم شيء في الفضاء المعلوماتي والإعلامي الذي تحيط بها هو إشباع الحاجات الاستهلاكية. وقد انضم مفهوم التفاعلية **l'interactivité** ليؤثر أيضا في رؤية الذات لنفسها، فالمرء عبر الانترنت يتحاور مع أشخاص في أقصى الأرض لهم ثقافاتهم المختلفة وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية المتباينة، وما يجمع بينهم هو حاجتهم إلى اتصال، الأمر الذي يؤسس لمعنى " الوطن الافتراضي " عندما تنعزل الذات عن وطنها الطبيعي بفعل استخدام هذه الوسائل الجديدة (**اسماعيل، 2008**).

فإلى أي مدى تساهم هذه الوسائل في تغيير النظرة للأنا وللآخر؟، وما هو تأثير الفضاءات الافتراضية على تمثل الذات؟

إن بناء المساحات الافتراضية يشبه كثيرًا بناء المساحات المادية الحقيقية مضاف إليها صفة الإبداع والتنوع التي توفرها الوسائط الجديدة كالصورة والصوت والعلامات والرموز... ، وهو ما يجعل الفاعل/ المستخدم يبني صورة عن ذاته وفق خياراته وإرادته (**نزيهة مصباح، 2020**)، لتميّزه باللامحدودية والتفاعل الحر، وعليه عملية تمثل الذات في الفضاء الافتراضي تركز أساساً على الصور والعلامات والرموز التي يستخدمها الفاعل/ المستخدم في إظهار ذاته قد تكون مطابقة للواقع، لكن الشاهد في الفضاء الافتراضي أنه تغيب فيه لغة الجسد وتحضر فيه لغة الرموز والصور والعلامات.

ثالثا : <u>بناء الذات لا يتحقق إلا من خلال العلاقة بالآخر:</u>

من السياق السابق في إعادة بناء المساحات الافتراضية تنطلق فكرة " قوفمان **Goffman** " الذي يرى أن التفاعلات البشرية تحدث بطريقة تعتمد على التوقعات الشرطية حسب وضع التفاعل، وهي تؤثر في اتصال الفرد المشارك في التفاعل المتبادل والتي ترتكز على جملة من الطقوس والمعايير تحددها واقع الأفراد والمواقع التي يتخذونها في عملية التفاعل، لكن في الفضاء الافتراضي يغيب الجسد ليصبح التركيز أكثر على اهتمامات الشخص على أفكاره ومواقفه من خلال طريقة عرضها، ولذلك الفاعل الاجتماعي في هذا الفضاء يعمل على إظهار ذاته بالشاكلة التي يريد، كما يبحث أكثر ما يمكن من اعتراف الآخرين (**نزيهة مصباح، 2020**).

ويشير كل من " مانيس **Manis** ومالتزر **Maltzer** " إلى أن مدركاتنا الحسية اتجاه ذواتنا مستوحاة من خلال علاقتنا بالآخرين، حيث يؤكد " جورج هربرت ميد" على أن إمكانية نشوء مفهوم الذات لدى الإنسان تبرز من خلال تبني مواقف الآخرين اتجاه الذات وذلك لإظهار الانسجام معهم (**خريف، 2005**).

إن في العالم الافتراضي يحدث تحول على مستوى الذوات بفعل وسائل الإعلام الرقمية، والتكنولوجيا هنا تمثل مجالاً واسعًا لتجارب وخيارات الأفراد الذين يكتسون تمثلات جديدة ويقومون بإعادة تنظيم ما هو حقيقي بالنسبة لهم، والأكيد أن الفاعلين في البيئات الافتراضية من خلال كل الموارد المشتركة والتكنولوجيا والخيال يهدفون إلى توسيع تجربة الحياة اليومية خارج حدود الروتين الممل، أين يغيب الخيال ويفتقر السلوك الاجتماعي إلى الحس المدرك المعترف به اجتماعيا، وفي سياق آخر يرى " قوفمان **Goffman**" أن العلاقات الاجتماعية هي عملية "إخراج مسرحي للذات **mise en scène de soi**" تهدف لتقديم صورة متميزة عن الذات، فحسب قوله الحياة اليومية تتضمن وجود الآخرين، بمعنى أن ما نقوم به يحدث ضمن مواقف اجتماعية يعبر عنها عادة بالبناءات كالعلاقات والجماعات، الفئات النسبية، والنوع الاجتماعي والأقليات والطبقات، تتضمن عملية التفاعل وضع الآخر ضمن فئة إجتماعية واعتباره في الوقت نفسه كفرد له هوية خاصة (**عثمان، 2008**).

رابعاً: <u>فهم تشكلّ الذوات الافتراضية في البيئة التفاعلية</u>:

لقد منحت الانترنت بشكل عام الأفراد إمكانية تجريب وتقمص أشكال مختلفة للذوات، بهدف معاينة ماذا يمكن أن يحصل عند ذلك، إن هذا الأثر لا يمكن أن يتحقق إلا عندما تغدو الذات الافتراضية هوية مقبولة ومعترف بها ضمن العلاقة التفاعلية مع الآخر، وفي هذا الإطار يشير عالم النفس كارول دويك **Carol Dweck** أن مفهوم الذات له ثلاث مكونات مختلفة:

1. وجهة نظر الفرد حول ذاته (صورة الذات)
2. القيمة التي يضعها الفرد لنفسه (تقدير الذات)
3. ما يمكن أن يكون عليه الفرد (الذات المثالية) (**Cardon & Tétrel, 2006**)

عبر هذه المكونات الثلاث تتأرجح الذات وتبحث عن سد الفجوة بين ما هو كائن وما هو مأمول ولعل وجود الفضاء الافتراضي في حياة الفرد قد مهد الأرضية للمستخدم لتشكيل ذاته المرجوة، على اعتبار أن لكل فرد تصور معين عن ذاته مثل إدراك الفرد بأنه شخص اجتماعي أو مؤثر أو...، ولكن ليس من الضروري أن يعكس هذا التصور الواقع الفعلي لحقيقة الذات، وفي ذات السياق يرى "جورج هربرت ميد **Herbert Mid**

" أن الذات تحيل على الدور الذي يفترض أن يقوم به كل واحد منا ضمن الوضعيات الاجتماعية المختلفة وهو ما اصطلح عليه " بالآخر المعمم" أي ما يراه ويتوقعه المتواجدون ضمن هذا الوضعيات الاجتماعية المختلفة، كما أن الذات "الأنا" تتشكل ترابطياً من خلال استعارة الذوات الأخرى بمعنى آخر أن الفرد يكتشف ذاته من خلال العيش في ذوات الآخرين، في مقابل ذلك "الأنترناتي" أو المستخدم يمكن له أن يستعير ويجرب ما شاء له من الذوات دون أن يتعرض للعقاب وإذا أردنا معرفة حقيقة هذه الذوات الافتراضية فسنجد أنها لم تخلق من فراغ، إن الأمر يتعلق في غالب الأحيان، بذوات تسعى إلى تحقيق رغبات وتطلعات أقصتها الحياة الفعلية ومنعتها من التحقق (**رابح، 2007**).

و على حد تعبير " شيري تاركل" أن الإنسانية برمتها أصبحت تعيش على الحدود بين عالمين، إنساني وتكنولوجي، أو في منطقة وسطى يمكن أن نسميها "بالتكنو إنسانية" ذلك أن علاقتنا بالآخر أضحت وكأنها مستحيلة بلا وساطة التكنولوجيا، ولا يستقيم بغيابها وجودنا، هكذا تتحول الانترنت إلى عالم يتخلص فيه الإنسان من إكراهات العالم الحسي لينغمس في تجارب جديدة (**الحمامي، 2012**).

خامساً: <u>إنتاج الذات في قلب التفاعلات الرمزية والتمثلات الاجتماعية</u>:

فنّدت " لورا روبنسون" **Loura robinson** أطروحة " شيري تاركل" مستندة على المقاربة السوسيولوجية (التفاعلية الرمزية) التي تعتبر أن الذات ليست جوهرًا ثابتًا بل إنتاج للتفاعل الاجتماعي، فالذات ليست "شيئًا " أو جوهرًا خالصًا متعاليًا منعزلاً عن عملية التفاعل الاجتماعي بل هي تجربة عملية أي اجتماعية فنحن ننظر إلى أنفسنا من خلال الآخرين ونتشكل بواسطتهم، أي أننا نتمثل ذاتنا من خلال نظرة الآخر لنا (**الحمامي، 2012**)، وعلى عكس ما تدعيه " تاركل" حول انشطار هوية الفرد إلى هويتين واحدة حقيقية وأخرى الكترونية، فان الهوية الحقيقية لا تنقطع عن الهوية الافتراضية، وعليه بناء الذات في العوالم المتخيلة لا يتحرر من التفاعلات الرمزية الضرورية لعملية التنشئة الاجتماعية، وبهذا المعنى لا تؤدي العوالم الافتراضية بالضرورة إلى نهاية الذات، وما تعاظم التفاعلية يؤكد بشكل صريح أن الهوية على الشبكة لا يمكن أن تنفصل عن الآخر.

في سياق آخر جعل "فرويد" من الذات (الأنا **ego**) محفلاً نفسيًا يتميز عن الاشتغال اللاواعي الذي بدأ يستدعي القول بأن الذات (الأنا) ليست سيدة في ميدانها، ذلك أن جزءًا من الذات يوجد خارج مراقبتها، وسيصبح من الصعب عليها تحديد هويتها التي تناقضها الكثير من الأفعال...، لقد أصبح الموضوع/الشاشة الذي هو " السمارتفون **smart phone**" امتدادًا لأنفسنا وذلك من خلال الحضور الدائم للافتراضي الملتصق بأعصاب الإنسان، إنها المباشرية والتفاعلية والاستعداد للقيام بكل شيء عبر النقر **click** (**غودار، 2019**)، وعليه وعبر هذه الدائرة الاتصالية تم اصطلاح التسويق الذاتي **selfbranding** ولا يمكن تجاهل هذا الإشهار المجاني والفعال للذات، وبهذا تصبح الذات (الأنا) ماركة (علامة تجارية) منتجًا موضوعًا للتداول في السوق، ومن السهل التحدث عن الأنا (الذات) من خلال عرضها، لكن يذهب " ميد **Mid**" إلى أبعد ما ذلك، فالذوات التي يتقمصها الفرد في الفضاء الأنترناتي هي في أغلب الأحيان وخلافًا لتلك التي تتشكل منه ذاته (أناه) متناقضة مع الأدوار الفيزيائية والاجتماعية التي يمكن أن تقوم بها في الحياة الفعلية (**رابح، 2007**)، وإذا أردنا معرفة حقيقية هذه الذوات الافتراضية، فسنجد أنها لم تخلق من فراغ، إن الأمر يتعلق في

غالب الأحيان بذوات تسعى إلى تحقيق رغبات وتطلعات أقصتها الحياة الفعلية ومنعتها من التحقق، وعليه يجب قراءة استعارة الذوات، وبالتوازي كإعادة تخليق (فالأنترناتي **l'internaute**) يصبح مستحدثًا لجزء منه لا يوجد إلا في خيالاته) (**رابح، 2007**).

وبطريقة توارثية مع تراكم خيرات الفرد الاجتماعية، يمكن للفرد أن تكون له ذوات محتملة وتمتنع عليه أخرى، وهنا يبرز ثقل ومحورية دور السياق الاجتماعي وعليه الذات (الأنا) تتشكل ترابطيًا من خلال استعارة الذوات الأخرى، بعبارة أخرى يكتشف الفرد ذاته من خلال العيش في ذوات الآخرين (**الصادق، 2014**).

سادساً: الوجه المشخصن للذوات بين الفردية والجماعية:

إن للانترنت علاقة بصيرورة فردنة العائلة وبناء الهوية الذاتية داخل الفضاء العائلي فهي تعزز من قدرة الأطفال على حماية عالمهم الخاص، إذ تتحول العائلة في سياقات تحولات اجتماعية وثقافية، من فضاء عائلي قائم على تقاسم التجربة إلى فضاء عائلي فرداني يقوم على فضاءات متقاطعة وعلى زمنية أكثر فردية هكذا تنخرط الشبكة في فضاء عائلي متشظٍ تحوّل إلى فضاءات منغلقة على نفسها حيث يمارس كل فرد نشاطاته التواصلية في إطار عائلة "مفردنة" أو "ديمقراطية" وفي سياق التحوّل من العلاقات السلطوية والتراتبية إلى العلاقات القائمة على التشبيك الأفقي (**الحمامي، 2012**).

وإذا انطلقنا من المبدأ القائم على أن ذات الفرد في الواقع الاجتماعي، تتشكّل أساسًا باعتبارها الوجه المشخصن للذوات الاجتماعية الأخرى (الأدوار والوضعيات ضمن السياقات الاجتماعية)، فان الأمر يختلف على الانترنت، على اعتبار أن هذه الذوات الاجتماعية يمكن أن تصبح غير محدّدة المعالم نهائيًا، وبالتالي جعل " الأنا " تعيش في وضعية اللايقين.

ضمن هذه الوضعية، فان مستخدمي الانترنت " المتلاعبين بذواتهم "يجدون أنفسهم أمام حلّين يقعان على طرفي نقيض الإقامة في العالم الافتراضي بسبب الواقع الاجتماعي، أو مساءلة الواقع بسبب ما يعانيه في الفضاء الافتراضي (**الصادق، 2014**).

وفي نفس السياق وفي مسألة التلاعب بالذات أنتج " إيريك فروم **Erich Fromm**" في أطروحات سابقة مفهوم الذات الزائفة وهي التي تفتقر إلى صفات الحب والإحساس والإبداع أو بعضها وهي ذات اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصيل (**محمد خليفة فضالي، 2003**).

إنها الثورة الرقمية التي ستشوش هي الأخرى على مضمون " الأنا" وذلك بسبب الابدالات الجديدة التي جاءت بها، فلم تعد علاقتنا الجديدة مع الفضاء والزمان تمكننا من التعرف على " الأنا" في شكل استيطان، كما أن هناك سطوة الصورة الهشّة التي لا تسهّل إعادة امتلاك " الأنا " في شكل محكي داخلي، وفي شكل فكر مبني وتساؤل فلسفي أو في شكل مناجاة.

- ✓ **<u>تسويق الذات عبر العمومية الافتراضية أم سير ذاتية:</u>**

على حد تعبير هامن **Hamman** إنه شكل جديد من المغامرة الذاتية النوعية أو ضغط للذات المعطوبة لما بعد الحداثة أي الذات التائهة الباحثة عن وجودها ضمن الشتات والمنسي والهامشي والمبعد، وهي

جزء من هوية عدوانية تتعدى حدود الواقع وتتعدي في الكثير من الأحيان على الهوية الأصلية من خلال تجاهل وتجاوز مقوماتها وقيمها فهي محكومة بقيم معولمة غير القيم الاجتماعية.

إن غياب القدرة على الذاتية وعيش هذه الذاتية في معنى ذات متميّزة ومستقلة هي عند الكثير من الكتّاب الخاصية الأساسية للمعاش الما بعد حداثي : "لم نعد منذ مدة طويلة ذواتاً، لكن محطات يصل إليها الكثير من الشبكات (**راينر، 2016**)، وهذا بالضبط ما يؤكده علماء النفس الذين يهتمون بإنسان ما بعد حداثي، لا يتحدثون عن نهاية "الملكية" أو نهاية مُعاش معين ومحدد للواقع أو نهاية الذات الشخصية يعني معاش الهوية، وبما أنهما ينتميان لبعضهما، وهذا واضح لغوياً كذلك، ذلك أننا نجد في مفهوم "الخصوصي" كلمة "مِلْك" و في كلا الميدانين يفقد الخاص أهميته، وفي سياق آخر لم تعد هناك كذلك خصوصية الوجود الذاتية والخصوصية في شكل الرشد والخصوصيات المميزة التي تلعب أي دور في تعريف ما هو ومن هو الإنسان، ولعل البيئة الافتراضية أعطت لهؤلاء الموجهون (المستخدمين) توجهاً ما بعد حداثي يبنون ذواتهم و هويتهم المعاشة أكثر فأكثر بطريقة حرة ومستقلة عن الخاصيات الذاتية المفترضة وعن خصوصيات الشخص، فالكيفية التي يعيشون بها ذواتهم تأتي من لا شئ بتعبير "فرانك ريزر **frank reiser**" إنها اختراع الذات المزمن (**راينر، 2016**).

في سياق آخر تحمي الذات (الأنا) الموجهة نفسها من النقد بتقوية الانتماء إلى نمط الحياة المحددة ذاتياً، وأكبر مشكل يعترض سبيل هذا (الأنا) هو قدرته على النقد الذاتي، هذا ما أتاحته العوالم الافتراضية و إمكاناتها، إنها شرط دفع التحديث وما صاحبه من اختفاء الحدود بين الفضاء والحدود وتبادل المعارف والمعلومات الفائق السرعة، وعليه عن طريق التقنيات النفسية يُقضى على الخوف وعلى الشعور بالعجز وتساعد تقنية المحاكاة على الحد من إمكانية السقوط في الأخطاء عند الإنسان بطريقة حاسمة.

إن صورة الذات تضطلع بوظيفة حجاجية، وتعد نقطة ارتكاز العملية التأثيرية، ذلك أن المتكلم ذاته استماله مشاعر الآخرين وعواطفهم، إن هذه الإستراتيجية التعبيرية قائمة على شحذ ثقة المتلقين واستدراجهم لتكوين تمثل ايجابي ومحمود حول من يتوجه إليهم بالخطاب، وتؤكد تصورات معرفية أخرى أن صورة الذات تتشكل من معطيات قبلية كسمعة الشخص وحياته الواقعية، لا بما يفصح به في خطاباته، لأن بلاغة صورة الذات تتجاوز ما ينحته المتكلم من آثار ذاتية في الملفوظات إلى الصورة الواقعية التي تروج عنه، وعليه صورة الذات " **Ethos** " قضية مرتبطة بمسألة بناء الهوية (**غوستاف، 2013**).

من الطبيعي أن يتحدث كثير من الباحثين عن "المجتمع الشبكي" أو "المجتمع الافتراضي" نظراً لوجود كينونة أخرى بموازاة الحياة الواقعية، الأمر الذي انبثق منه تشكل هوية رقمية وافتراضية وشبكية تطبع تفاعلات المستخدمين، وتوثق ذواتهم واهتماماتهم وانشغالاتهم و تصورهم للحياة و الوجود و العالم و القيم، فالذات الافتراضية ذات عارفة وعالمة قادرة على خوض غمار السجال في مختلف القضايا، سياسية كانت أو دينية، أو فلسفية...، و أمام هذه الإمكانية الهائلة يمكن القول أن الفضاءات الافتراضية تتيح للأفراد فرصة تقديم أنفسهم للآخرين بحرية كبيرة ودون قيود، وهذه الحرية تعطي بعض الأفراد مجالاً رحباً لتقديم أنفسهم بطريقة تمكنهم من إخفاء بعض الخصائص والصفات غير المرغوبة لديهم، والتي لا يرغبون أن يعرفها الآخرون عنهم (**ساري، 2014**).

لقد صار تقديم الذات عملية حتمية ترافق نشاط المستخدم في الفضاء الافتراضي، في نفس السياق أشار الباحث "دومينيك كاردون **Dominique Cardonne** " إلى أشكال التعبير التي تتبلور في العالم الرقمي حينما أكد أن الهوية الرقمية قائمة على حركية مزدوجة تقوم على مقومين: الدينامية الأولى تتعلق بالبوح كنشاط مسترسل للتعبير عن الذات الذي يتجلى في الحكايات الحميمية، والبحث علامات التميّز ، وإظهار انتاجات شخصية، والدينامية الثانية تحيل إلى ابتعاد الذات وتتضح بالطريقة التي يؤدي بها مستخدمو الانترنت (**ريمي، 2018**).

ولعل الانغماس في الهوية الرقمية وتفاعل الأخر الافتراضي إعجاباً و استحساناً و حضوراً يولد وهماً لذيذاً لدى الذات الافتراضية ينبئها ببلوغ مدارج الرقي في هرم المجتمع، فيرى المرء نفسه نجماً، إنه يصبح بطلاً أيقونياً على حد تعبير " إلزا غودار **Elsa Godart** "، ولا شك أن هذا الانفصام الوجودي لدى الذات الإنسانية التي تنشطر إلى ذاتين واقعية وافتراضية أن يثير قضية أخلاقية بارزة هي الصدق، فما مدى انسجام الإنسان مع ذاته، أو بالأحرى ما مدى تطابق الذات الواقعية و الذات الافتراضية.

إن تماهي الذات الافتراضية مع مجريات الفيس بوك facebook مثلاً ووقائعه وسيولته المعلوماتية، وتبنّي القيم الجمعية و المواقف المتفق عليها في هذا الفضاء هو قانون طبيعي تفرضه خصوصية المجتمع الافتراضي فكل منبر يقترح شكلاً من الظهور الخاص، فيعطي الفرصة لكل شخص لابراز هويته الرقمية على سجلات مختلفة، فمسرحة الحياة اليومية من خلال الأنا الفاعلة توجد في الواقع وفق درجات متفاوتة من خلال تصرف بعض المتصفحين الظاهرين على الشبكات الاجتماعية (**ريمي، الثورة الرقمية ثورة ثقافية، 2018**).

خاتمة:

لم تكن صرخة الفيلسوف اليوناني سقراط " أيها الإنسان أعرف نفسك" سوى صرخة توكيد على أهمية اكتشاف الفرد لذاته وضرورة الوعي بها، لكن الإنسانية اليوم تعيش انقلاباً براديغماتياً و أشكال من اتصال مفارقاتي رهيب **communication paradoxale** بحضور وتدخل الميديا الجديدة في مختلف أنماط الاتصال و هذا ما أنتج هذه الذات المتلوّنة حيث واكبت الانفجار التكنولوجي للمعلومات و فارماكون التقانة **Farmacon** (أي فيها الداء والدواء، سلاح ذو حدين) على حد تعبير " أفلاطون"، هذا الذي شمل أدوات الاتصال بدرجة أولى، أين البرامج و التطبيقات والإيقونات متاحة في تمثّل الذات الفردية وكذا هويتها كما تشاء، وقد تتمثّل للعالم المعاش كما يمكن تزييفها لما كل ما هو جميل وايجابي، السيكولوجيا اصطلحت عليها بأنها ازدواجية أو انفصام في الشخصية، في حين أن سوسيولوجيا الاتصال وصمَتها (من الوصم) بأنها مفارقة في العملية الاتصالية، والأمر يتمثّل على شخصية الأفراد/المستخدمين، كما الهويات وقد تطال على الثقافة ومن ثمة جغرافيا الاتصال واللغة، إنها صُهارة يذوب فيها الكل، وصحيح أن إمكانية التعبير الحر وإعادة إنتاج التمثّل الاجتماعي والثقافي للأفراد أتاحه النفاذ الشامل للانترنت بشكل عام، لكن هذه الأكوان الافتراضية علّبت الثقافة **Etre emballée** وكأنها مصنوعة كما علّمت (علامة تجارية) الذات حيث إمكانية بيعها وشراءها ممكنة، والشاهد أصلاً أنها ضمن بيانات ضخمة يستطيع المستشارين أو الشركات العالمية (مثل

GAFA)♣ امتلاكها ومن ثم استغلالها، والواقع أن لهذا السياق الفكري إرهاصات تكنوسوسيولوجية تعود إلى أفكار الواقعية المحسنة أو الواقع المعزز أين الشخصيات الرقمية **Avatar** تنوب عن الشخصيات الحقيقية، فالأنا موجودة هنا وهناك في آن واحد وكما شاءت أن تتمثّل.

قائمة المصادر والمراجع :

1) **Bignell, J. (2000).** ***postmodern media culture.*** **Britain: Edinburgh university press.**

2) **Cardon, D., & Tétrel, H. D. (2006, mars 20). la production de soi comme technique relationelle; un essai de typologie des blogs par leurs public.** ***Réseaux*** **(138), pp. 15-16.**

3) **ابراهيم عيسى عثمان. (2008).** ***النظرية المعاصرة في علم الاجتماع.*** **عمان الأردن: دار الشروق.**

♣ **G : Google ; A : Amazon ; F : Facebook ; A : Apple**

4) إلزا غودار. (2019). *أنا أو سيلفي إذن أنا موجود - تحولات الأنا في العصر الافتراضي*. (سعيد بن كراد، المترجمون) المغرب، المغرب: المركز الثقافي للكتاب.

5) السعداوي نزيهة مصباح. (15 جانفي, 2020). استعراض الذات في مواقع التواصل الاجتماعي والتمثلات السوسيوثقافية لبناء الهوية الافتراضية. (جامعة منوبة تونس، المحرر) *مجلة سوسيولوجيون* (العدد 01)، صفحة 76.

6) الصادق الحمامي. (2012). *الميديا الجديدة - الابستمولوجيا والاشكاليات والسياقات*. منوبة تونس، تونس: المنشورات الجامعية بمنوبة.

7) الصادق رابح. (15 ديسمبر, 2007). الانترنت كفضاء مستحدث لتشكل الذات. (جامعة الشارقة الامارات العربية المتحدة، المحرر) *المجلة المصرية لبحوث الرأي العام ، المجلد 08* (العدد 02)، صفحة 05.

8) تي في ريد. (2017). *الحياة الرقمية - الثقافة والسلطة والتغير الاجتماعي في عصر الانترنت*. (نشوى ماهر كرم الله، المترجمون) السعودية: شركة العبيكان للتعليم.

9) حسين خريف. (2005). *المدخل إلى الاتصال والتكيف الاجتماعي - دراسات نقدية*. قسنطينة الجزائر: مخبر علم الاجتماع الاتصال - جامعة منتوري قسنطينة.

10) حلمي خضر ساري. (2014). *التواصل الإجتماعي، الأبعاد والمبادئ والمهارات*. الأردن، الأردن: دار كنوز المعرفة.

11) رابح الصادق. (2014). *فضاءات رقمية - قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات*. بيروت لبنان، بيروت لبنان: دار النهضة العربية.

12) ريفيل ريمي. (2018). *الثورة الرقمية ثورة ثقافية*. (سعيد بلمبخوت، المترجمون) الكويت، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

13) ريفيل ريمي. (2018). *الثورة الرقمية ثورة ثقافية*. (سعيد بلمبخوت، المترجمون) الكويت، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

14) عبد اللطيف محمد خليفة فضالي. (2003). *دراسات في سيكولوجيا الإغتراب*. القاهرة مصر، مصر: دار غريب للطباعة والنشر.

15) علي محمد رحومة. (2005). *الانترنت والمنظومة التكنو - اجتماعية - بحث تحليلي في الآلية التقنية للانترنت نمذجة منظومتها الاجتماعية*. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

16) فونك راينر. (2016). *الأنا والنحن - التحليل النفسي لإنسان ما بعد الحداثة*. (حميد لشهب، المترجمون) بيروت لبنان، بيروت لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

17) لوبون غوستاف. (2013). *سيكولوجيا الجماهير* (الإصدار 4). (هشام صالح، المترجمون) بيروت لبنان، بيروت لبنان: دار الساقي.

18) محمد حسام الدين اسماعيل. (2008). *الصورة والجسد - دراسات نقدية في الاعلام المعاصر*. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.